

مستقبل الانسان والحضارة في عصر التكنولوجيا

The future of man and civilization in the age of technology

الإسم الكامل للباحث الأول¹، د بلواسع ناصر¹ المركز الجامعي نور البشير البيض (الجزائر)، الإيميل المهني

n.belwassa @cu-elbayadh.dz

تاريخ الاستلام: 2024/03/09 تاريخ القبول: 2024/04/23 تاريخ النشر: 2024/06/01

ملخص:

في عصر التكنولوجيا الحديث، يشهد الإنسان والحضارة تطورات هائلة وتحولات جذرية تؤثر على جميع جوانب الحياة. هذه التكنولوجيا تقدم فرصًا هائلة للتقدم وتحسين جودة الحياة، ولكنها تثير أيضًا مخاوف وتحديات جديدة.

من بين التطورات المهمة في عصر التكنولوجيا تشمل:

الذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي: يتسارع التطور في هذا المجال، مما يؤدي إلى إمكانيات جديدة في التحليل الضخم للبيانات، والتنبؤ بالسلوك البشري، وتطوير تطبيقات متقدمة في مختلف المجالات مثل الطب، والتصنيع، والترفيه.

الواقع الافتراضي والواقع المعزز: تقنيات جديدة تفتح أبوابًا لتجارب جديدة في الواقع الافتراضي والواقع المعزز، سواء في مجالات الترفيه أو التعليم أو العمل.

مستقبل الإنسان والحضارة في هذا العصر يعتمد على كيفية استخدام هذه التكنولوجيا وتوجيهها. قد تواجه التحديات مثل العزلة الاجتماعية نتيجة الاعتماد المتزايد على التكنولوجيا، وتهديدات الخصوصية والأمان، وتفاقم الفجوات الاقتصادية والاجتماعية. ومع ذلك، يمكن أيضًا أن تحقق التكنولوجيا تقدمًا كبيرًا في مجالات مثل الطب والعلوم والتعليم، وتسهم في بناء مجتمعات أكثر تقدمًا واستدامة.

من المهم أن نتحدى التحديات ونعمل معاً لتوجيه التكنولوجيا نحو إيجابياتها
وللهوض بمستقبل الإنسانية والحضارة بشكل عام.

كلمات مفتاحية: الذكاء الاصطناعي ؛ الواقع الافتراضي ؛ التعلم الآلي ؛ القيم
الأخلاقية ؛ عصر التكنولوجيا.

Abstract:

In the modern era of technology, man and civilization are witnessing tremendous developments and radical transformations that affect all aspects of life. This technology offers tremendous opportunities for progress and improved quality of life, but it also raises new concerns and challenges.

Among the important developments in the age of technology include:

Artificial Intelligence and Machine Learning: Development in this field is accelerating, leading to new possibilities in big data analysis, predicting human behavior, and developing advanced applications in various fields such as medicine, manufacturing, and entertainment.

Virtual Reality and Augmented Reality: New technologies are opening doors to new experiences in virtual reality and augmented reality, whether in entertainment, education or work.

The future of man and civilization in this era depends on how this technology is used and directed. You may face challenges such as social isolation as a result of increased reliance on technology, threats to privacy and security, and worsening economic and social gaps. However, technology can also bring significant advances in areas such as medicine, science and education, and contribute to building more advanced and sustainable societies.

It is important that we challenge the challenges and work together to guide technology towards its positives and to advance the future of humanity and civilization in general.

Keywords: technology; ecosystem; knowledge field; dominance; ethical values.

*المؤلف المرسل: د. بلواسع ناصر

1. مقدمة

ما يميز مجتمع الألفية الثالثة عن مجتمعات القرون السابقة تميزا جوهريا ، هو تسارع وتيرة التغيرات المناخية التي يشهدها الكوكب. هذه التغيرات جرت معها مخاطر تدفع فتورها الدول الصناعية ولم تنجو منها حتى الشعوب التي هي تحت خط الفقر ، مخاطر بيئية استنزفت أموال طائلة صرفت هنا وهناك لمحاولة إعداد إستراتيجية تكفل إعادة الشروط وجود آدم في الجنة (بورغ د.، 1999، صفحة 133) على لسان أو على الأقل تخفف من درجة الاختراقات الكونية. هذا الوضع القائم الذي خلفته منظومة الحداثة وما بعدها، العولمة، والثورة الرقمية... هي في الحقيقة مصطلحات بالونية روجت لها أبواق سادة التكنولوجيا و الادائية تحت ذريعة تحقيق اعلي عدد ممكن من النمو الاقتصادي والرخاء الاجتماعي. إنها اليوتوبيا التكنولوجية استطاعت وبامتياز أن تدمر حلم الإنسان في العيش في أحضان الطبيعة، في الوقت التي كانت تحلم في مدينة مثالية للمستقبل.

ومن بين اكبر المشاكل التي أفرزتها الثورة التكنولوجية: مشكلة التلوث ومشكلة استنزاف الموارد الطبيعية ، تمظهرت على طبقة الأزون والهندسة الوراثية ووباء الأنفلونزا والأعاصير الاستوائية وغيرها من مشاكل مست انطولوجيا الكائن ومشاكل بيئية جعلت حياة الكون قاب قوسين وأدنى من الزوال. وتجنبنا للتمويل،

نقول أن أواصر العلاقة بين الإنسان والطبيعة-وهو المراد من المقال-تصدعت ففقدت الطبيعة اتزانها.

وفي سؤال البيئة التي أفرزتها الطبواوية التقنية على ميزان الطبيعة يحق لنا أن نطرح الأسئلة التالية : كيف لنا أن نعيد تأسيس العلاقة بين الإنسان والطبيعة في شيء من التناغم والانسجام الطبيعيين؟ كيف لنا أن نعيد طبيعة الطبيعة من جراء ما أحدثته الثورة العلمية والتكنولوجيا من انتهاكات لا أخلاقية للبيئة؟ أسئلة باتت تفرض نفسها يوما بعد يوم ومحاولتنا هذه جاءت لإحياء فكرة التناغم الطبيعي والعيش في وفاق معها و الإحياء يتطلب-لا محال-أسسا من طبيعة خاصة تقعد لفكرة عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة لأن عصرنا اليوم لا ينقصه المزيد من التقنية فهو عصر تقني لما يشهده من انجازات علمية و ثراء مادي لم يسبق لهما نظير و إذا كانت الإشكالية تتمحور حول علاقة الإنسان بالطبيعة فالأجدر بنا أن نتساءل، لماذا الطبيعة بالذات؟ كيف كانت نظرة الإغريق إلى الطبيعة؟ وكيف أصبحت في زمن الثورة الرقمية والآتية ؟

2. مقولة الحضارة في الفكر الإغريقي

1.2 الأصول السببية لأحداث الطبيعة ونظم البشر

لا ننكر أن الفكر الإغريقي يبني على الميتوس "الذي يفسر الأصول السببية لأحداث الطبيعة ونظم البشر" (محمد، 1999، صفحة 11)، بيد أن الاتجاه الميتولوجي يعد رد فعل عقلي وروحي لتعليل حالة القلق التي زعزعت سكينه النفس ورضاها لحظة ازدياد حدة التوتر بين الإنسان وذاته وبين الطبيعة، فتمكن الإتجاه من سحر الأنظار واستقطاب الألباب، فكان موردا للفنون والآداب والعلوم، وكان مادة خصبة نهلت منها الأقلام حبرها ودونته على صفحات إبداعها لهذا جاء اهتمامنا بالإغريق محاولين التعرف على نظرتهم إلى الطبيعة وسنوجز الحديث عن آراء المدرسة الرواقية (أسست المدرسة الرواقية في اثينا

بداية القرن3(ق.م) على يد زيتون الكيتومي zenon Citium (264-335ق.م) المنحدر في قبرص)باعتبارها إحدى المدارس اليونانية التي أولت اهتماما بالغا بالطبيعة وهي في ذات الوقت صاحبت شعار " العيش في وفاق الطبيعة". وصفت الفلسفة الرواقية بأنها طبيعية لإهتمامها بالماديات "فكل معرفة عندهم حسية أو ترجع إلى الحس" (محمد، 1999، صفحة 213).فالإيمان بالطبيعة الحسية جعلهم يرون الوجود في كليته يؤول إلى الطابع الجسماني.والطبيعة عندهم هددت الحيوان بأن جعلته كيف يحفظ بقاءه ويتبع السلوك المناسب،أما الإنسان فأضافت له الطبيعية العقل وهوLOGOS (حلي، 1986، صفحة 408) لهذا،فالخير عند الرواقية ما وافق السلوك الإنساني الطبيعية،أي موافقة القانون الكوني الذي يخضع له كل شئ في الوجود.

من هنا،جاءت فكرة التناغم الطبيعي"،وهي مقولة لا تعني العودة إلى الحياة الطبيعية الحيوانية التي لا تعرف قيمة ولا ضابطا،و إنما الاحتكام إلى نواميس الطبيعية الثابتة والمتلائمة مع عقل الإنسان،هذا العقل الجزئي المنشق من العقل الكلي الكوني له غاية واحدة هي العيش في تلاؤم مع العالم اجمع، إذ أن الإنسان حين ياتمر بواجبات العقل،لا يكون موافقا لنفسه فقط،بل يكون موافقا لمجموع الأشياء أي للكون بأسره (عثمان، صفحة 199).وهذا ما تعبر عنه خواطر "مركس اوريليوس"الروماني Marc Auréle (121-180م) حين قال "كل شئ يلائمني اذا لائمتك أيها العالم ! وما جاء في الوقت الملائم بالنسبة إليك،فليس متقدما ولا متأخرا بالنسبة إلي.وكل ما جاءني به فصولك ابتها الطبيعة فهو ثمرة عندي.وكل شئ يأتي منك،وكل شيء فيك ،وكل شيء يعود إليك" (عثمان، صفحة 200).ففي بمثابة"الأم الكبرى"،للإنسان حق عليهما كما للام التي أنجبته حق عليه،ومرجعية هذا التشبيه مستمدة من اسطورة Gaia الاغريقية التي ترى ان الطبيعة هي الام لها قداستها ما للام من حرمة وقداسة،واذا كانت الام قد

ولدت اطفالا فالامر بعينه للطبيعة فهي الكائن الحي،البشر اجنة في ربطها انجبتهم وفرضت عليهم الالتزام بنواميسها والعيش وفقها تحصيلاً للسعادة التي كتب عنها "سينكا" Sénèque (4ق-65م) قائلاً: وانه من الصعوبة بمكان تحقيق حياة سعيدة بمجرد فقدان الطريق، فنبتعد عن الهدف أكثر من سعينا الحثيث لبلوغه (Gallimard, 1996, p. 31). وكان المراد من فقدان الطريق عنده، الابتعاد عن القانون الطبيعي الكلي، والعمل خارج ما تقتضيه الحكمة والفضيلة. فالطبيعة بهذا التعبير الميتولوجي على الشروط الطبيعية المتزنة. ومرد ذلك أن للإنسان ميزان ذاتي، انتظامه مرهون بانتظام ميزان الطبيعة، فمأكلنا ومشربنا وملبسنا ومأوانا وكل مآربنا شديدة الصلة بالطبيعة وهكذا، تكون جميع حاجاته قد قضيت.

نقول هذا ونحن نرى أن الفلسفة الرواقية أدركت مدى قيمة الميزان الطبيعي فتكلمت ضمناً عن السلسلة الغذائية المدرجة في الدرس البيولوجي بدليل أن كريسيب Chrysippe (280-206 ق م)، يرى أن الطبيعة توجب على كل حي القيام بدوره في تكامل وظيفي، فالأشياء خلقت لخدمة بعضها البعض، فالبدور والثمار التي تنتجها الأرض خلقت للحيوانات، والحيوانات للإنسان، والحصان للحمل، والثور للحرث، والكلب للصيد، أو الحراسة، والإنسان نفسه خلق للتأمل والعيش في وفاق مع الطبيعة (Brun, 1962, p. 54). ولم تكتف الطبيعة بأن توفر للإنسان مقومات البيولوجيا، بل حركت فكره ايضاً وأنعشت أحاسيسه وطمعت وجدانه بالحب والرأفة والتسامح، فقد ولد ليتأمل ظواهرها ولعيش ود معها.

ولكن، امام هذا السيل الجارف من العطايا الطبيعية قابلها الإنسان بفضاضة وغلضة مشهرا ترسانته العلمية في وجه من سخر لخدمته معتبراً إحكام القبضة على الطبيعة والسيطرة عليها سيوفر له شروط العيش الرغد. وكان هذا التصور القائم قد أحدثته بعض المفاهيم الحديثة التي على اثرها قامت تنبؤات بتغيير

خلق الانسان والتحكم في وراثته بإطالة اعمارهم وتعليق الموت واستنساخ الافراد والمزاوجة بين نفس النوع وغيرها من الفاجعات التي مست البيئة الطبيعية. وهذا التحول -كما اسلفنا- مرده الى فكرة تسييد الانسان على الطبيعة فما هي تداعياتها على النظام البيئي الطبيعي؟

2.2 تداعيات مقولة "تسيء يد الانسان إلى الحضارة":

من الفكر الاغريقي الى مطلع القرن السابع عشر، اتسعت الفجوة بين الانسان والطبيعة فلم يعد الاعتصام موجودا بينهما، بل برزت مع بزوغ العلم الحديث في اوربا فكرة تدليل الظواهر الطبيعية وتسخيرها لسعادة الكائن العاقل بفهم قوانينها وحتمية نواميسها. هذا التصور الحديث بمثابة السيف الذي سل من غمده ليواجه به الانسان الطبيعة، وكانت النتيجة ان تراجعت الطبيعة ولم تصبح الطبيعة العذراء الفاتنة التي خصبت عقول القدامى ورهفت حسهم ووسعت خيالهم وساعدت على نمو قدراتهم النفسية الخاصة.

انه تحول جذري في نظرة الإنسان إلى الطبيعة مشهد جعل الإنسان خارج الطبيعة يأمل أن يراها على نحو أفضل محصنا بفلسفة تجريبية وأخرى ميكانيكية غلبت على أعمال كل من "فرانسيس بيكون (1561-1626) و"غاليلي"(1564-1642) و"رونيه ديكارت"(1596-1650).

فمثلا "بيكون" لا يرى للتقدم أملا إلا إذا ارتد إلى قوة الانسان العلمية، فالطبيعة هي مملكة المعرفة الإنسانية والميدان الوحيد المثمر والمأمول لسيرة الانسان، فإذا تجاوز الانسان هذا المقصد والسبيل فلن يعرف او يفعل شيئا، فيصبر الانسان سيد الكائنات وتاج الخليفة وبطل الرواية الكونية (الخولي، 2000، صفحة 64)، والتمكين هذا عند "بيكون" يكون بالمنهج التجريبي، اما عند "ديكارت" فقد اتبع خلفه في ترسيخ في فكرة الاستعلاء على الكائنات بعد كتابة مؤلفه "مقال عن منهج" Discours de la méthode وفي قسمه السادس صرخ بضرورة ان نجعل

أنفسنا سادة الطبيعة وماليكها (ديكارت، 1985، صفحة 268)، عندما اصبح الطابع الميكانيكي على العالم متبعا المنهج العلمي الاستنباطي. هذا المسار الخطي الديكارتي الصارم، الذي يقضي بأن السبب لا ينتج سوى نتيجة واحدة، وأن النتيجة لا تنتج إلا عن سبب واحد، جعل صاحبه يستبدل التصور الحديث للعالم الذي يعتبر الكون "آلة ميكانيكية ضخمة مغلقة على ذاتها، من مادة متجانسة، تسيير تلقائيا بواسطة عللها الداخلية، وتبعا لقوانينها الخاصة في مسار تفضي كل حالة من حالاته الى الحالة التالية" (الخولي، 2000، صفحة 103)، بتصور كان يرى العالم مجرد قوة تديرها الطبيعة، والطبيعة هي مجموع الأشياء الإلهية والأشياء الإنسانية والتي تشكل في النهاية قوة موحدة أو مدينة "cite" لا اشياء خارجها يقول عثمان أمين "ناقلا لنا التصور الرواقى الطبيعية "العالم كله ليس إلا كائنا واحدة حيا متنفسا، ما يحصل في جزء منه يؤثر في جميع أجزائه، وما يؤثر في الكل يؤثر في كل جزء" (عثمان، صفحة 172).

فالمحدثون من الفلاسفة والعلماء كانت تدفعهم رغبة جامحة في استعادة مملكة الانسان على الأرض وتسيده على باقي المخلوقات وتحريره من مشاق العمل المضني ليمارس ملكاته العقلية بكل حرية (فؤاد، 1978، صفحة 178). كانت تلك نقطة إطلاق خلفهم البعيد، وهم دعاة "الوضعية" والعلمانية، فحافظوا على هذا الشعار بتبنيهم للمنهج التجريبي والترويضى-شريعة العلم الحديث-كأساس لنظام العلمي-التقني l'ordre technoscientifique. فالنظرية العلمية لا تكون كذلك إلا بعد إتباع الطريقة الاستنباطية معا، ومنهجان سيثمران انساقا من القوانين تتأرجح بين الإمكان ببعده النظري والتمكن ببعده العلمي، "فبمقتضى السيادة في هذا النظام أن يتولى الانسان أفاق إلا مكان التي تنفتح في النظر و ايضا أبعاد التمكن التي تبرز في العمل، وليست لهذه السيادة غاية تقف عندها ولا نهاية لا تجد لها ازدياد بعدها، لأن تمام السيادة الذي تطلبه عقلانية النظام

العلمي-التقني الحديث هو بالذات أن يجعل الانسان الكل ممكنا ويتمكن من ناصية الكل " (الرحمان، 2005، صفحة 115). وهذا المفهوم تتمفصل السيادة الى ثلاثة تحديدات، وهي: سيادة التنبؤ التي تكسب النظام النظام العلمي-التقني سلطان السطوة، وسيادة التحكم التي تكسبه سلطان البأس وسيادة التصرف التي تكسبه سيادة البطش ولا عجب أن تكون هذا السیادات الثلاث هي المحك لعلمنة الظاهرة وفق مبدأي التجريب والترييض، اما ما تعذر إخضاعه لهذين المبدأين يعتبر عائقا لابد من قطع الصلة به ولا يوجد الا ما هو ديني أخلاقي قابل لهذا الوصف والتصور (الرحمان، 2005، صفحة 121).

هنا نقول ان النظام العلمي-التقني للعصر المعاصر انفصل عن المعايير الدينية والقييم الاخلاقية فأسقط معيار التقويم الانساني واثبت بدله معيار التقويم المادي. فتداعيات السيادة والتملك والغزو "اكسب الثورة التكنولوجيا طابعا ماديا منحرفا أفرزت عقلانية متطرفة فلا إصلاح للوضع الكوني اذا إلا بعودة هذه الأسس الاخلاقية المسلوقة والتي أحدثته انزلاقات العقلانية لمحدثه والتكنولوجيا المفرطة ويوتوبيا المدينة المثالية.

3. نظريات عقد الصلح بين الانسان والحضارة:

1.3 نظرية المسؤولية

تعود هذه النظرية الى الفيلسوف الألماني "هانس يوناكس H.jonas (1993-1903) الذي أسسها في كتابة مبدأ المسؤولية: أخلاقيات من اجل الحضارة التكنولوجيا" (Jonas)، وهو يرى ان التوازن الطبيعي يتوقف في كليته على الانسان من خلال ما تأخذه أفعاله من معان طالما يعد المستهلك الأول لما ينتجه العلم-التقني، كما انه الكائن الوحيد القادر والحر والمتحمل لتبعات ما يختاره من سلوكات، الأمر الذي سيعينه في النهاية على مواجهة مخاطر وتهديدات العلوم-التقنية. فاختراعات التكنولوجيا المتواصلة والمتكاثرة أفرزت تغيرات في أمور المجتمع الانساني

بلواسع ناصر

وتحولات الحياة الطبيعية ما لأي مكن تصوره، ولا منفذ لنا من هذه الأزمة التي طالت العالم كله سوى تجديد أخلاقياتنا عن طريق عقد ميثاق بيننا وبين الطبيعة كما أقمنا ميثاقا من قبل بيننا وبين المجتمع (الرحمان، 2005، صفحة 124). و. أساس هذا الميثاق هو "مبدأ المسؤولية"، ولتفعليه لابد من تحصيل شعور بالخوف لما تنتجه العلوم التقنية من مفاسد على الطبيعة وقد يكون الخوف حلا مؤيدا لإدخال تعديلات حول سلوكات الانسان، كما قد يكون طريقا لتأسيس علوم جديدة أخذه بعين الاعتبار مبادئ العقل والأخلاق. وتشيدنا لتصورات مؤسسة على تلك الابعاد لإنقاذ الطبيعة والانسانية سيكون الطريق الرئيسي للتقليل من تطورات العلوم-التقنية. وقد صاغ "يوناثان" مبدأ الأخلاقي الذي يضبط هذا المسؤولية المشروطة بالخوف في شكل الأمر الجازم على طريقة "كانط" Kant في صياغته للقواعد الاخلاقية وهذا المبدأ هو:

"لنأت فعلك على الوجه الذي يجعل أثاره تصون الحياة الانسانية الحقة على وجه الارض" (الرحمان، 2005، صفحة 125). فمنطق المسؤولية الاخلاقية الذي اقترح "يوناثان" سيجدد نظرة الانسان نحو الطبيعة وسيعمل على ترسيخ فكرة المصالحة معها على أساس مبدأ هام أشارت إليه النظرية وللمبدأ حضور في مقال "دومنيك بورغ" حين قال: "لقد كانت الطبيعة والبيئة الأرضية، سابقة على وجودنا نحن، لذا لا يمكننا ان نجعل الهدف الوحيد لنشاطنا هو محاربتها واستبدال الرأسمال الطبيعي بآخر تقني. يجب علينا ان نتعلم من جديد الاعتراف بالأسبقية المطلقة للمعطى" (بورغ د،، صفحة 139). فالاعتراف بالأسبقية فعل أخلاقي لا يستوجب الالتزام، وإنما نداء الخير الموجه الى الإرادة التي تفرض إتباع القانون الأخلاقي الذي ينص على احترام من هو اسبق منا في الوجود وكذا النصوص الإلهية أقرت هذا، ان ينزل الكون-كخلق سابق على الانسان-منزلة الآية الدالة على عظم الخالق بعيدا عن الاستخفاف بالكائنات الطبيعية.

2.3 نظرية الضعف:

أصولها تعود الى الفيلسوفين الالمانيين "كارل اوتو ابل Karol-Otto Appel في رسالته: في مسألة التأسيس العقلي للأخلاقيات في عهد العلم، و"يورغان هابرماس" Jurgen Habermas في كتابه الاخلاق والتواصل. ويأتي اهتمامنا بمدرسة فرانكفورت "وبورنثا هابرماس" (علاء، صفحة 107) الى ثقل النظرية النقدية التي تبناها الفكر اللغوي وقد جاءت النظرية في معرض تتبعه الدقيق لنتائج النزعة الوضعية والعلموية (Scientisme) في المجتمعات الصناعية المتقدمة، ولتطور مفاهيمها على المؤسسات، ومن ثم نشوء هيمنتها التدريجية على الفرد والمجتمع ومتحكمة في الأبعاد الانسانية المستقلة داخل الوعي الجماعي.

وانعكاسات هذه الفلسفة ازمت العقلانية المحدثه وقادت العالم الى طريق مسدود. وما نسعى الى إيضاحه هو موقف "هابرماس" من تلك الفلسفة التي اعتقدت بالعلم اعتقادا يصل الى حد القدرة على تقديم أجوبة لكل الأسئلة وحل لكل مشاكل، الجنوح نحو التقنية والتطبيق العلمي لأدواتها كفيل في نظرهم الى تقدم المجتمع. هذا العقلانية التقنية التي أثرت التحديث المادي على التجديد الروحي سلبت القيم الانسانية، وجعلت التكنولوجيا تضفي على الأشياء صفة الأدوات وتحيلها الى وسائل نفعية، وبهذا التصور تصير التكنولوجيا-التي أحكمت قبضتها البرجوازية- عائقا اما تحرر الانسان وصون طبيعة الطبيعة والمحافظة على رأسمالها الأصلي، ف "هابرماس" لم يكف عن السعي نحو هدفه الأساسي المتمثل في تكوين منعي أخلاقي جديد يفتح باتجاه اتصالية جديدة تعمق العلاقة بين الفرد ومجتمعه وذلك الواقع المغلق القائم الذي تلازمه صفة الافتقار الى المشروعية والمساواة ويسوده الوعي التقريري" (علاء، صفحة 108). هذا المفهوم العقلاني الذي تطرحه الطوباوية التقنية يقدم صورة سوداوية للوضع المساوي

بلواسع ناصر

للانسان.وينبئ بحلقات درامية سيعيشها إنسان الألفية الثالث بسبب التطور الصناعي والتكنولوجي سريع الوتيرة. وكلما ساءت العلاقات الاجتماعية واغترب الانسان في غيابات التقنية اتبعه تراجع مخيف للطبيعة .

وكحل لهذه الازمة يسعى "هابرماس" الى تأسيس نسق جديد من الاتصال بين الفرد والمجتمع بما في ذلك الطبيعة،وهو اتصال يسوده خطاب عقلائي اخلاقي من شأنه ان يعيد الانسان إنسانيته وللطبيعة طبيعتها،ويكون خطابا مشتركا بين جميع أمم الأرض على تباين ثقافتها ونظمها، هذا ما قصده "ابل"من "الأخلاقيات الكبرى"²³Macro-ethique

3.3. نظرية التشتت

ويقودها الفيلسوفان الفرنسيان"جاك ايلول"Jacques Ellulفي مقالته الشهيرة "بحث من اجل أخلاقيات المجتمع التقني"،ودومنيك جانيكو"Dominique Janicaud في كتابه "قوة العقل".وهما يسعيان الى التقليل من استعمالات التقنية والزهد في جزء منها لا عجز عن استعمالها،بل تفاديا ما ستلحقه من أثار مدمرة ويكون ذلك بترك العمل بالقواعد التي املتها التقنية تجنباً لتسليح الانسان واستلابه،ويكون ايضا بوزن ابتكارتنا العلمية وإعداد لها خطة معينة معينة مع ما يوافق المتطلبات الايكولوجية قبل الإقدام على استغلالها ميدانيا اخذين بعين الاعتبار مستقبل المعمورة انه معيار أملته قوة العقل التي تجعل المرء يحيا حياة فاضلة موافقة للطبيعة،وهذا ما تتطلبه الحكمة العقلية وفي المقابل بإمكان مبدأ العقل ان ينقلب الى ضده"فيكون الانقلاب بمنزلة الحد المرسوم،الذي لا يمكن ان تتخطاه العقلانية في سلطانها"(الرحمان، 2005، صفحة 128).

الظاهر مما تقدم ان النظريات الثلاث في استعادة الصلح بين الانسان والطبيعة:

"نظرية المسؤولية و "نظرية التواصل" و "نظرية الضعف"، قامت بتصحيح السیادات الثلاث التي ارتبطت بالحضارة العلمية-التقنية للعالم، وهي "التنبؤ والتحكم والتصرف"، تصحيحاً قائماً على تجديد أخلاقيات الإنسان المعاصر. إلا أن هذه الأصول الأخلاقية لم تخرج عن الأخلاقيات القديمة إلا خروجاً ظاهرياً تعلق بمنهجية التدليل أكثر مما تعلق بمضمونية التحليل، فعلى الرغم من نحت مصطلحات تظهر عليها معالم التجديد كـ: "العقد الطبيعي" وأخلاق التواصل" و "مبدأ المسؤولية" يبدو أنها تحمل كلمة إغريقية تؤول كلها إلى معنى "التعقل" (الرحمان، 2005، صفحة 130) و "الفضيلة" أي اللوجوس LOGOS وفرتيس VIRTUS".

ومهما يكن من تقارب بين النظرتين القديمة والمعاصرة في المبادئ الأخلاقية لإنقاذ الطبيعة والعيش في تناغم معها، وفي كون الفلسفة المتبناة عندهم عملية تستوجب احترام من نتعامل معه إلا أن الإشكالية الأيكولوجية مازالت مطروحة في أجندة المهتمين بالبيئة، وحلها مرهون بتجديد المفاهيم والتصورات حيال الإنسان والطبيعة فيبقى أنه جزء من هذا العالم يتصرف على اعتباره أنه السيد الأوحـد الذي سخر له كل شيء، فتصحيح مفهوم السيادة ضرورة حتمية لإعادة الوفاق بين الإنسان والطبيعة، والمراد من السيادة في المفهوم التصحيحي هو إنزال الإنسان-الذي ادعى نفسه سيداً إلى منزلة المسود-ولا يتأتى هذا إلا بإقرار بوجود سيد قاهر فوقه، واما أن يكون هذا السيد النظام العلمي-التقني أو أن يكون غير هذا النظام، ومحال أن يكون الأول لأنه أثبت عجزه في الحفاظ على الطبيعة إذن هو من له مقاليد السماوات والأرض جل جلاله. وهذا يقودنا إلى الإقرار بمبدأ استخلاف الله تعالى وتعمير الأرض واستفادة من خيراتها الحيوية وغير الحيوية الذي لا ينبغي أن يمتد إلى حد

الإخلال بالتوازن البيئي أو التعالي عليهما طالما ان النصوص القرآنية تكلمت عن تسخير عطايا الطبيعة للإنسان في أزيد من عشرين آية.

يعطي هانس جوناكس في كتابه المعروف : المبدأ المسؤولية ، لمفهوم المسؤولية وظيفة أخلاقية دقيقة جدا ، فينطلق المؤلف من قناعة أن العلم و التكنولوجيا الحديثة قد أثارت قطيعة في العلاقة بين الإنسان و الطبيعة : الإنسانية قادرة من الآن فصاعدا على التعديل الجذري أو حتى على تحطيم محيطها الطبيعي ، لينتج عن هذه القدرة كما يعترف جوناكس بواجب أخلاقي جديد يتمثل في العناية بالطبيعة ، و لتدعيم هذه الأطروحة يستدعي تصورا لاهوتيا للطبيعة بجوانب مذهشة أحيانا ، يدعم على الخصوص نوعا من النفسانية أو الحياتية panpsychisme و تنشيط المادة ، لكن ما صدم العقول هو استعمال استعارة العلاقة بين الآباء و الأبناء مثلما هي الطيبة الضمنية للأطفال وهشاشتهم مصدر لالتزامات الوالدين اتجاههم و مولدا للشعور بالمسؤولية عندهم ، خضوع الطبيعة وهشاشتها تستدعي من الإنسان من الآن فصاعدا أن ينمي اتجاهها سلوكا جوهره العناية و المسؤولية .

لهذا كان من المستعجل الاستنجااد بأخلاق جديدة تناسب وهذا الوضع الجديدة ويعد يوناس أول من اقترح أخلاقا للحضارة النقدية معينا ضعف الطبيعة، بل أن النظام الحيوي بأكمله مهدد بالخطر ، مستنجدا في ذلك بأخلاق المسؤولية التي تتطلع نحو المستقبل .

ذو الأخلاق تدعو لحماية ووقاية الإنسانية والطبيعية مستقبلا ومن ثمة استبعاد كل ما يفعله الإنسان لمنفعة آنية وعابرة بل يجب استبعاد كل ما سبب الضرر والأذى للبيئة على المدى البعيد .وتعتبر هذه الأخلاق نظرية للفعل، لا تجبر وضعية الإنسان الحاضرة على إيداع فلسفة تساعد على التنبؤ واستبعاد الخطر الذي يهدد البقاء.

على الرغم من أن الإنسان يعرف جيداً أنه يلوّث ويستنفذ الموارد الطبيعية ويتلف الغابات، ويعمل على تغيير ماهيته البيولوجية بل ويهدد باستمرار الطبيعة ومع ذلك فهو يواصل أفعاله بالشكل ذاته وكأنه لا يعرف أن نمط آخر للحياة، حينئذ يبقى الخوف هو الوسيلة الوحيدة التي تهز الإنسان وتجبره على التغيير، فالشعور بالخوف وسيلة تكشف عن الأخطار المحدقة بالإنسانية كما أنه يعد في الوقت ذاته وسيلة لبناء الأخلاق إذ يمكن اعتباره بمثابة البوصلة التي تحدد الاتجاه لتجنب الأسوأ.

4. خاتمة

ضع في خاتمة ضمان مستقبل الإنسانية يعتبر ضرورة واقعية، يجب نقدها دون تأخير باسم إنسانيتنا ومنها ليس من الغرابة في هذا السياق أن يكون الطفل حديث الولادة هو أصل المسؤولية لأنه ضعيف، وهو ما يتطلب في كل لحظة الاهتمام به فالضعف الطبيعي للأطفال يجعل الإنسان مسؤولاً عنهم بطريقة تامة وهذا ما يدفع إلى ضمان بقائهم وبالمقابل فهم أيضاً بحاجة إلى سلطة أب الذي يمثل منطقياً نموذجاً لكل سلطة سياسية وهذا يكون يونس قد أحدث انقلاباً في القيم الديمقراطية وذلك باقتراحه الحلول التي تحد الحريات الفردية عندما تعرض هذه الأخير بقاء الإنسانية للخطر وفي الأخير تبقى الطبيعة مدينة الإنسان وموطنه، حمايتها مهمة الجميع لضمان من يعيش فيها وهذه الحماية تتطلب تجنيد سائر الفئات والهيئات الحكومية وفق إستراتيجية محكمة لإعداد جيل واع بالمخاطر البيئية التي تهدد جنسه ومن يشاركه العيش من حي وجماد. فالإنسان الكائن العاقل الحر المريد هو الوحيد من يتقصد أي فعل لا مسؤول حيال الطبيعة درءاً للمخاطر التي تحوم حولها. فترميم الشروخ وجبر التصدعات استرضاء للمجني عليه بلا حق بنشر الوعي والتربية الايكولوجية وتصحيح مفهوم السيادة يكفل لامحال إعادة الوفاق بين الانسان والطبيعة.

5. قائمة المراجع:

الخطيب محمد، الفكر الاغريقي، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط1، 1999
ص11

أسست المدرسة الرواقية في اثينا بداية القرن3(ق.م) على يد زيتون الكيتومي zenon
Citium (264-335 ق.م) المنحدر في قبرص،

المرجع نفسه، ص231.

امين عثمان، الفلسفة الرواقية، مطبعة الانجلو مصرية، القاهرة، ط3، (د)،
ص199.

المرجع نفسه، ص172.

المرجع نفسه، ص ص199، 200.

اميرة حلمي، الفلسفة عند اليونان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1986،
ص408.

دومنيك بورغ، تراجع الطبيعة، مجلة الثقافة العالمية، العدد93، مارس-
افريل 1999، الكويت ص135.

المرجع نفسه، ص139.

ديكارت، رونييه، مقال في منهج، ترجمة: محمود محمد الخضيري، الهيئة المصرية
للكتاب، مصر، 1985، ص268.

زكرياء فؤاد، التفكير العلمي، المجلس الوطني للثقافة والفنون
والادب، الكويت، 1978، ص178.

طريف الخولي، يمني، فلسفة العلم في القرن العشرين، المجلس الوطني للثقافة والفنون
والادب، الكويت 2000، ص64.

المرجع نفسه، ص103.

مستقبل الانسان والحضارة في عصر التكنولوجيا

طاهر علاء، مدرسة فرانكفورت، من هوركهايمر الى هابر ماز، منشورات مركز الانماء القومي، لبنان، ط1، د(ت)، ص107.

عبد الرحمان طه، سؤال الاخلاق، مساهمة في النقد الاخلاقي للحدثة الغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2005، ص115.

المرجع نفسه، من ص118 الى ص121.

المرجع نفسه، ص108.

المرجع نفسه، ص124.

المرجع نفسه، ص126.

المرجع نفسه، ص128.

المراجع الأجنبية :

Jean, Brun, textes choisis, Cicéron, De natura deorum, II, 4, deuxième édition, presses universitaires de France, 1962, p54.

Sénèque La vie heueuse, Traduction : J. Baillard , Gallimard , 1996, P.31.

Voir : Hans Jonas , Le Principe de responsabilité, une éthique pour la civilisation technologique.